

أنوار كاشفة      سلسلة من يقول الناس إنني أنا؟      الحلقة التاسعة عشرة

أنا هو

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع في لقاء اليوم حديثنا عن حقيقة شخصية المخلص المسيح، وإن كان هو مجرد نبي كباقي الأنبياء أم شخصية مختلفة؟

وكنا قد تحدثنا عن عدة عجائب قام بها المسيح تؤكد حقيقة شخصيته الإلهية. كعجوبة إقامته للعازر من القبر، وشفائه للرجل المقعد، وللذي ولد أعمى، وإطعامه للجموع الغفيرة، واسكاته للأمواج الصاخبة في البحر، وإخراجه للأرواح الشريرة. وقد رافقت هذه العجائب تصريحات هامة للمسيح، تؤكد أنه كلمة الله الأزلي المتجسد، وابن الله الوحيد. كقوله: أنا هو القيامة والحياة، أنا هو نور العالم، أنا هو خبز الحياة، أنا هو الباب، أنا هو الراعي الصالح، أنا هو الطريق والحق والحياة. وأعلن المسيح أنه هو رب داود بالرغم من أنه أتى من نسله.

ثم تأملنا بالحوار الذي جرى بين اليهود والمسيح. وتأكيد المسيح لهم أنهم يجب أن يؤمنوا به أنه الرب المخلص لكي يصبحوا أحراراً من عبودية الخطية. ثم كشف لهم المسيح أن إبليس هو أباهم، رغم أنهم من نسل إبراهيم. وتحدهم أن يجدوا فيه أية خطية مؤكداً أنه بار. ثم أعلن لهم أن من يؤمن به فلن يرى الموت إلى الأبد. وعندما تساءل اليهود هل أنت أعظم من أبينا إبراهيم؟ أعلن لهم المسيح أن إبراهيم كان ينظر بأمل إلى يوم المسيح فرآه وفرح. أي رآه بعين الإيمان يقدم نفسه ذبيحة للتكفير عن خطية البشر. ثم أكد لهم أنه كان قبل إبراهيم كائناً مع الله الأب منذ الأزل.

ننتقل اليوم إلى حادثتين هامتين أكدتا على شخصية المسيح الإلهية. الحادثة الأولى عند إلقاء القبض على المسيح من قبل اليهود. فبعد أن تناول المسيح العشاء الأخير مع تلاميذه، ذهبوا جميعاً إلى بستان جثسيماني. وكان يهوذا الاسخريوطي التلميذ الذي سلم المسيح يعرف هذا المكان، لأن المسيح كان يجتمع عادة مع تلاميذه هناك. فأخذ يهوذا معه فرقة الجنود وحرس الهيكل، الذين وضعهم تحت تصرفه رؤساء الكهنة والفريسيون. وأتوا وهم يحملون المشاعل والمصابيح والسلاح.

وكان المسيح يعرف كل ما سيحدث له، فتقدم نحوهم وقال: " من تطلبون؟ أجابوه يسوع الناصري. قال لهم: أنا هو. وكان يهوذا الذي خاناه واقفاً معهم. فلما قال لهم إنني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فعاد وسألهم المسيح: من تطلبون؟

فقالوا يسوع الناصري. أجاب: قلت لكم أنا هو، فإن كنتم تريدونني أنا، فدعوا هؤلاء (أي التلاميذ) يذهبون. (بشارة يوحنا ١٨: ١-٨)

مرة أخرى يواجه المسيح اليهود أعدائه بتصريحه لهم: أنا هو. معلنا لهم وبشكل واضح عن لاهوته. أي أنا هو الرب الله القدير. ولهذا نجد أن جميع الذين أتوا للقبض عليه رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض خوفا ورهبة. ولقد كان اليهود يدركون أهمية هذا التعبير أنا هو، ويعرفون معانيه العميقة. إذ عندما ظهر الرب الله لموسى قديما لأول مرة، بينما كان يرعى الغنم في بركة سيناء، سأله موسى عن اسمه؟ فأجابه الله: أهيه الذي أهيه. وتعني أنا هو الذي أنا هو، أي أنا هو الكائن الموجود بذاته. ولهذا فإن المسيح عندما كان يستخدم تعبير أنا هو، فإنما كان يؤكد حقيقة طبيعته الإلهية. وأنه هو الكائن مع الله الأب منذ الأزل.

حقا ما أعظم هذا الإعلان الذي واجه به المسيح أعدائه. فهو يستطيع أن يستخدم هذا التعبير أنا هو. إذ هو كلمة الله الأزلي المتجسد، الذي يحمل الطبيعة الإلهية. وهذا يؤكد أنه يختلف عن باقي الأنبياء والرسل.

أما الحادثة الثانية فقد كانت بعد أن تمّ إلقاء القبض على المسيح، وأثناء محاكمته أمام قيافا رئيس الكهنة. وكان رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود يبحثون عن شهادة زور على المسيح ليحكموا عليه بالموت، فلم يجدوا. وأخيرا تقدّم شاهدا زور وقالوا: هذا قال إني أقدر أن أهدم هيكل الله وأبنيه في ثلاثة أيام. فوقف رئيس الكهنة وسأله: أما تجيب بشيء على ما يشهد به هذان عليك؟ لكن المسيح ظلّ صامتا.

فعاد رئيس الكهنة يسأله: استحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ فأجابه المسيح: أنا هو. وأقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وأتيا على سحاب السماء. فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه، وصرخ قائلا: قد جدّف، لا حاجة بنا بعد إلى شهود. وها أنتم قد سمعتم تجديفه. فما رأيكم؟ أجابوا يستحق عقوبة الموت. فبصقوا في وجهه، وضربوه وآخرون لطموه مستهزئين به. (بشارة متى ٢٦: ٥٩-٦٧)

من الواضح أن رؤساء اليهود كانوا يبحثون عن علة ليدينوا بها المسيح. ولقد كان قول شاهدا الزور عن إدعاء المسيح لقدرته على هدم الهيكل وبنائه في ثلاثة أيام، يشير إلى إدعاء المسيح الألوهية. إذ من يستطيع أن يهدم هيكل عظيم ويبنيه في ثلاثة أيام؟ لكن المسيح كان يقصد بكلامه هذا هيكل جسده. أي عندما يعلّق جسده على الصليب ويموت، ثم عندما يقوم من بين الأموات في ثلاثة أيام. ولكن تصريح شاهدا الزور هذا، بفهم اليهود المغلوط له، قد أثار رئيس الكهنة. فأراد التأكد من المسيح نفسه، إن كان هو حقا المسيح ابن الله الذي يتمتع بكل هذه القدرات الإلهية العجيبة.

وكانت المفاجأة أن أكد له المسيح حقيقة طبيعته الإلهية، وأنه ابن الله الأزلي. لا بل كرر له عبارة أنا هو. وأنه من الآن سيتوج كابن للإنسان ملكاً، إذ سيجلس عن يمين القوة أي عن يمين الله الآب، ويأتي على سحاب السماء. لم يكن غريباً عندها أن يتهم رئيس الكهنة المسيح بالتجديف. إذ كانت جريمة كبرى عند اليهود أن يدعي أحدهم الألوهية أو أنه ابن الله. ولهذا لم يتردد رؤساء اليهود بالحكم على المسيح بالموت، وأسلموه للوالي بيلاطس الروماني ليُصلب.

ولعل الأمر الآخر الذي أثار غضب رئيس الكهنة ورؤساء اليهود، هو قول المسيح أنه كابن للإنسان سيجلس عن يمين الله الآب ويأتي على سحاب السماء. وكأنه يذكرهم بما تنبأ به النبي دانيال في سفره. فلقد تنبأ النبي دانيال، أنه رأى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرّبوه قدامه. فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوته لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض.

فدانيال أكد في هذه الرؤيا أن ابن الإنسان هذا، هو المسيح الرب، الذي سيعطيه الله الآب السلطان لكي تتعبد له جميع الشعوب والأمم. أي أنه يتمتع بالطبيعة الإلهية، وتكون له نفس قدرات الله الآب. ولهذا ستتعبد له كل الشعوب. وعندما أعلن المسيح أنه هو ابن الإنسان الذي تنبأ عنه النبي دانيال قديماً، فيكون بهذا قد أكد على طبيعته الإلهية، مما أثار غضب اليهود.

لكن السؤال هو: هل تحقق هذا الذي تنبأ عنه دانيال؟ وكيف؟ ومتى؟ بعد قيامته من بين الأموات في فجر اليوم الثالث، صعد المسيح إلى السماء، معلناً إتمامه لعمل التكفير عن خطية الجنس البشري. فأجلسه الله الآب عن يمينه أي في مركز القوة والسلطان، وجعله ربا وملكا لتتعبد له كل الشعوب. إن حقيقة كون المسيح ربا وملكا عند قيامته كابن للإنسان، هي حقيقة هامة وهي التي تؤكد في نفس الوقت على أنه هو كلمة الله الأزلي المتجسد، ابن الله الوحيد، الذي يتمتع بالطبيعة الإلهية.

ما هو موقفك مستمعي الكريم من شخصية المسيح المخلص؟ ألا تعترف به ربا وملكا؟ أو لا تؤمن به مخلصاً، فتنتال الغفران عن ذنوبك وتحيا إلى الأبد؟